سننتزع الفجر

.. من كل ما يحيط بنا من ظلمات

بقلم :

يوسف السباعي

غداً تبدأ الثورة عامها العشرين مرحلة قد تبدو فى عمرنا طويلة .. فقد نبا نحن جيل هذه الثورة .. من الشباب الى الكهولة .. وحملت من الابناء الصغار آباء .. ومن الآباء جدودا .

ولكنها فى عمر التاريخ .. لا تتجاوز لحظة كلمح البرق .

ومن حقنا والاحداث تدفعنا ان نتمهل لنلتقط انفاسنا .. ونتلمس مواطن اقدامنا ونعرف اين بلغنا والى اين نخطو .

ولعل اوجع ماتحس به هو افتقادها لاعز ما فى هذه الثورة .. لقائدها وبطلها .. الزعيم جمال عبد الناصر .

رحل عنا فى ساعة نحن احوج ما نكون اليه .. الى قيادته والى حنكته .. وشجاعته .. وصلابته فى الحق .. والى قلبه العامر بالايمان .. بالله .. وبالوطن .. وبالعروبة .. والى ثقته بالشعب وارتباطه به .. والى فهمه العميق لما يريد هذا الشعب .. والى وضوحه بغير تعقيد .. وقدرته بغير استعلاء .

ولم يكن لنا من عزاء عن فقده سوى اننا لم نفقد دربه .. ولا ضللنا عن طريقه .. يتقدمنا على الدرب .. ويقودنا فى الطريق .. آخ كريم لعبد الناصر .. اخ ثورة .. وزميل نضال .. يعرف رسالته جيدا .. يعرف حبه للناس .. وثقته بالشعب .. هو الرئيس انور السادات .. الذى واصل حمل المشعل .. محطما مراكز القوى مضيئا الطريق للحرية .. والتحرير .. وللتنمية .. والذى حدد معالم المستقبل واوضح اتجاهات العمل .. مؤكدا اننا « على طريق عبد الناصر » .. على المسيرة .. على الهدف .. استمرارا واصالا .. ارتباطا وعهدا .. وانه ليس امامنا من شاغل الا المعركة وبناء الدولة خدمة وتدعيما للمعركة .

ولقد استطاعت الثورة خلال اعوامها العشرين ان تحقق رغم كل العقبات من الانجازات الضخمة ما غير وجه المجتمع المصرى وارسى دعائم التنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية وما هيأ لنا القدرة على الانطلاق نحو مستقبل أفضل يتوفر فيه الرخاء وتتحقق فيه العدالة والطمأنينة .

واذا كانت عملية التنمية والبناء قد لقيت بعض العقبات التى حدت من بلوغها القدر المنشود .. سواء كان ذلك بسبب الزيادة الخطيرة فى معدل النسل التى ادت بالاضافة الى الحرص الشديد على تحقيق سريع للعدالة الاجتماعية فى مرحلة حيوية من مراحل البناء الى ابتلاع فائض الانتاج المقرر ان يستغل فى عملية البناء ذاتها . كما كان لتسرب البيروقراطية الى الجهاز الحكومى وفقدان الحافز الفردى فى أجهزة القطاع العام وهو اكثر قطاعات العمل حيوية فى التطبيق الاشتراكى .. اثره الواضح فى قصور عملية التنمية عن المعدل الموضوع .. فى مرحلة هامة من مراحل البناء .

واذا كانت نكسة يونيو الى جانب الصدمة المعنوية ... التى هزت نفوسنا جميعا ـ قد افقدتنا موارد مادية حيوية فى عملية البناء .. هى دخل القناة وحقول البترول فى سيناء ومصانع السويس .

واذا كانت عملية اعادة بناء قواتنا المسلحة والاعداد الدائم والدهم المستمر لقدرتنا العسكرية استعدادا للمعركة تحملنا عبئا ماديا ضخما .

فان كل ذلك لم يستطع أن يعرقل عملية التنمية والبناء الداخل . فاستطعنا بمعاونة الاتحاد السوفييتى الصديق أن نكمل السد العالى بكل ما يوفر من طاقة كهربائية تزيد على ٤٠٠ الف كيلووات تهيىء لنا ما تحتاج اليه المصانع من كهرباء الى جانب كهربة الريف وبكل ما يهيئه من استصلاح مئات الآلاف من الافدنة ومن تحويل مئات الآلاف من ري الحياض الى الري الدائم .

وامكن كذلك من ناحية التنمية الزراعية تحقيق عدة مشروعات حيوية كالتوسع الرأسى فى الزراعة ومشروعات الري والصرف بما قفز بحجم الانتاج الزراعى قفزة واسعة . ولقد حقق اكتشاف آبار البترول الجديدة زيادة ضخمة فى انتاج البترول .

وفى مجال الصناعة استثمر دعم طاقة الانتاج فى بعض المؤسسات الصناعية تقابله زيادة فى نواح اخرى . ثم استثمر فى الزيادة عاما بعد عام . كما استطاع التصدير ان يحقق نجاحا ساهم فى تنمية دعائم اقتصادنا الوطنى حيث استطعنا ان نوجد اسواقا بديلة واسواقا جديدة امام منتجاتنا . وفوقنا بذلك على الهدف اية محاولة لفرض ارادته عن طريق الضغط الاقتصادى .

ولقد استطعنا ايضا فى عام الصمود فى اعقاب النكسة ان نحقق تحسنا كبيرا فى الميزان التجارى اذ انخفض العجز انخفاضا واضحا يزيد على النصف كما امكننا فى الوقت نفسه القيام بسداد جميع التزاماتنا المستحقة لبنوك العالم فى مواعيدها واستطعنا ان نوفر جميع الاحتياجات الاساسية للبلاد ولا سيما الخامات والسلع الوسيطة .

فى كل مجال من المجالات استطاعت الثورة ان تواصل الانطلاقة البناءه .. واستمرت زيادة الصمود قوية فعالة لم تنل منها الهزيمة العسكرية او الضغط الاقتصادى

وطبيعى ان يكون هناك اخطاء واضحة خلال الاعوام الطويلة التى ارست فيها الثورة دعائم النهضة والعدالة الاجتماعية . وحددت طريق الاشتراكية لانطلاقنا فى سبيل تحقيق آمال المستقبل . ولقد كان علينا ان نتعلم من تجربه النكسة دروسا مستفيدة اظهرت لنا العلل التى ادت الى النكسة لكى نقتلعها من جذورها

وكان اهم ما استطعنا ان نحققه بعد النكسة ودرسا منها هو اعادة تنظيم قواتنا المسلحة على اسس علمية سليمة . بالتسليح العصرى والتدريب الفعال .

كما تم انهاء دولة المخابرات . ووضع بيان ٣٠ مارس من اجل حشد كل القوى لتحرير الارض والاستعداد للمعركة دعما للعمل السياسى او خوضا لقتال مصيرى ليس منه بد من اجل تدعيم بناء الدولة المصرية ودفع التنمية الشاملة وتدعيم القيم الروحية وضمان الحريات بكافة انواعها وحماية الثورة فى ظل القانون وحصانة القضاء .

ولقد تقدم الرئيس السادات الى الشعب على طريق عبد الناصر وعلى هدى الميثاق وحقق لبنان ٣٠ مارس واستطاع فى ١٥ مايو ان يقضى على مراكز القوى الجديدة وان يكشف مؤامرتها وان يؤكد عزمه على ان يجعل ما جاء بالميثاق وبالبيان حقيقة فعالة ملموسة وان يعمل على التطبيق العملى السليم لكل ما جاء فى الميثاق وفى البيان ولا يمنح فرصة أخرى لكى تثبت مراكز قوى جديدة .

وفى هذه المرحلة الحاسمة من حياتنا ونحن نقف فى اصرار لتحرير ارضنا بكل ما نملك من قدرة .. يبدو الطريق أمامنا مثاليا بالسحب ففى الاردن تواصل السلطات الاردنية مجازرها الرهيبة فى محاولتها تصفية المقاومة . فى الوقت الذى تواصل اسرائيل محاولاتها الدائبة على تهويد القدس .. وتضيع اصوات التحذير والاستغاثة وسط ذوى المدافع وضجيج القنابل التى تنفث بالشباب الفلسطينى الذى كان مفروضا ان يواجه العدو الحقيقى الذى يقضم اللقمة فى عدوه وامان

وفى المغرب تسيل الدماء العربية فى بلد عزيز وفى وقت تحتاج الامة العربية الى كل دعم فى بنائها بالتقدم وبالبناء الاقتصادى والعدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية . حتى نواجه العدو بامة عربية سليمة البناء .. وان نواجه العالم العصرى بامة عربية عصرية قد حقق شعبها الحرية والعدالة والتقدم .

وأمريكا .. تتقدم بمزيد من السلاح لاسرائيل مستمرة فى لعبة ميزان القوى .

ومع كل ما يبدو فى الافق من سحب ومهما اكفهر الجو .. فليس امامنا .. سوى السلاح فى يدنا وفأسنا فى اليد الاخرى . تحمى مقدور مصيرنا .. ومحرور ارضنا .. وبناة مستقبلنا ..

ونحن بكل ما فى قلوبنا من ايمان بالله وبانفسنا وبقيادتنا وبوحدتنا سننتزع الفجر من كل ما يحيط بنا من ظلمات .. وسنظفر بالنصر .. ونحقق آمال ما بعد النصر